

المشروع التربوي الجزائري: بين الحداثة التربوية والأزمة التعليمية

أ. رندة شاوي جامعة سطيف 2- الجزائر

Abstract :

The issue of education occupies a considerable amount of attention in our society, especially if education derives its importance from it as the actual workshop for the manufacture of the human model. In light of the technical development and the changes that have taken place in various fields, including the educational field, the educational tool has required radical accountability to investigate the actual causes of the educational system's suspension in its cultural format. Although many researchers and those interested in this matter, they are referring to the modernity of education and the cultural imposition of the other as one of the most serious intellectual pitfalls prevailing on the "Algerian educational project" because of the imposition of the dominance of many of the simplistic ideological frameworks of the educational problem of various dimensions, reducing the reality in its multiple dimensions And changing at the expense of a realistic view of reality, whether at the level of intellectual references directed and pre-framed by globalization, or in terms of methodologies to identify and solve problems. This has made us wonder about the reality of the Algerian educational project between the educational modernity and the educational crisis under the bets of globalization

المخلص:

تحتل مسألة التربية حيزا لا يُستهان به من الاهتمام في مجتمعنا، خاصة إذا كان التعليم يستمد أهميته منها باعتباره الورشة الفعلية لتصنيع النموذج الإنساني. وفي ظل التطور التقني وما فرضه من تغيرات لامست شتى المجالات بما فيها المجال التربوي حيث جعلت الوعاء التعليمي بحاجة إلى المساءلة الجذرية للبحث في الأسباب الفعلية لعطالة المنظومة التعليمية في نسقتها الثقافي. وإن كان الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الشأن يوعزونها إلى الحداثة التربوية وما فرضته من استتباع ثقافي للآخر معتبرينها من أخطر المزالق الفكرية السائدة حول " المشروع التربوي الجزائري" لما فرضته من هيمنة الكثير من الأطر الإيديولوجية التبسيطية للإشكالية التربوية بمختلف أبعادها حيث تختزل الواقع بأبعاده المتعددة والمتغيرة على حساب النظرة التقييمية للواقع الفعلي سواء كان ذلك على مستوى المرجعيات الفكرية الموجهة والمؤطرة مسبقا بفعل العولمة، أو من حيث منهجيات تحديد المشكلات و حلها. وهذا ما جعلنا نتساءل عن واقع المشروع التربوي الجزائري بين الحداثة التربوية والأزمة التعليمية في ظل رهانات العولمة .

الكلمات المفتاحية : المشروع التربوي – الحداثة

التربوية – الأزمة التعليمية

مقدّمة

يتفق الجميع على أن المشروع التربوي يعاني أزمة ثقافية واجتماعية تكمن أساسا في إشكالية الوظائف والأدوار التي يؤديها في إطار الحياة الاجتماعية العامة. فلكل مشروع تربوي فلسفة يرتكز عليها ويستند إلى مبادئها، تمثل القيم والاتجاهات والمبادئ الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية السائدة في المجتمع، والتي تحدد بدورها نمط شخصية الفرد المرغوب فيه، بفعل التربية والتعليم، وتعكس ذات المجتمع ومآله وتطلعاته، خاصة وأنّ الجميع يطالب بالمرودية والفعالية والنفعية والتسيير العقلاني لقطاع التربية والتعليم في الجزائر. إلا انه ومع الهيمنة التقنية وما فرضته من استتباع ثقافي للآخر مشكلة بذلك أخطر المزالق الفكرية التي وضعت جعلت من الأنظمة التربوية والتعليمية عقيمة لهشاشة بنيوتها وتفاقمها مع مرور الوقت خاصة في ظل تعدد أشكال الإصلاح المعرفة بالتبعية والتبسيطة والتقنوية المحضة. وهو ما استوجب ضرورة تسليط الضوء على أزمة المشروع التربوي بين الحداثة التربوية والأزمة التعليمية للوقوف عند واقع هذه الأزمة وتحديد أسبابها وسبل الحد منها. وهذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال هذه الورقة البحثية، وذلك بالتطرّق للعناصر التالية :

- 1- تحديد الإطار المفاهيمي: المشروع التربوي -الحداثة التربوية- الأزمة التعليمية
- 2- قراءة سوسيولوجية للأزمة التعليمية والحداثة التربوية
- 3- الإصلاح التربوي كمطلب للتوجّه نحو الحداثة التربوية
- 4- تحديات المشروع التربوي الجزائري وسبل الحد منها
- 5- ملامح المشروع التربوي المبدع

أولا. الاطار المفاهيمي

1- المشروع التربوي:

يعرف موقع **wikipedia** المشروع على أنه مسعى مؤقت وفريد من نوعه لتصنيع منتج أو تقديم خدمة أو الوصول إلى نتيجة، حيث يكون للمشروع نقطة بداية محددة ونقطة نهاية يصل إليها إما عند تحقيق أهدافه أو عند إيقافه أو الوصول لقناعة أن أهدافه لا يمكن أن تتحقق أو أن الغاية من هذا المشروع لم تعد موجودة. في حين أنّ **المشروع التربوي** فهو: "مشروع إستراتيجي ومتكامل تتوافر له كل متطلبات النهوض بذاكرة وثقافة المجتمعات وتوجهاتها الحالية والمستقبلية، لأنها تطمح إلى إنتاج إنسان يعتز بوطنه ويعيش بوثاق ومحبّة مع المواطنين الآخرين، وتتمو عنده شيئا فشيئا روح الإبداع والابتكار"¹⁸⁹.

2- الحداثة التربوية:

يُقصد بها "البحث المستمر والسيطرة على مدخلات ومخرجات العملية التعليمية للتطوير المستمر من اجل الارتقاء الدائم بالمتعلم. إن "الحداثة" مفهوم متعدد المعاني والصور، ولذا فالأخذ به في التعليم يحتم رؤية جديدة لإعادة توظيف العاملين في العملية التعليمية بطريقة بمنهجية عقلية مرهونة بزمانها ومكانها"²، كما إنها رفض لجمود العقل والانغلاق في تقبل الجديد والقبول بمبادئ الانفتاح والتفاعل مع الثقافات الإنسانية الأخرى. في النهاية تُؤكد أن "الحداثة" مفهوم يدور في فلك الإبداع الذي يعد دائما نقيض الإبتاع، كما يعني العقل الذي هو نقيض النقل، ومع ذلك يعتقد الكثيرون أن نجاح العملية التعليمية في المقام الأول يعني إدخال التقنيات الحديثة كالكومبيوتر وتوابعه، إلا أننا في الحقيقة لا نملك من قيمتها إلا احتواءها، أي أننا نعيش قشور الحداثة التربوية، التي أصبحت انعكاس على بنية الحياة الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية، والتي مازالت تتأصل فيها التبعية التي تغيب معها القيم الإنسانية الأصيلة التي تضع الإنسان في صدارة غاياتها، خاصة إذا كانت تستند إلى فكرتين أساسيتين هما: فكرة الثورة ضد التعليم التقليدي، وفكرة مركزية العقل لتوظيف كل ما هو جديد"³

3- الأزمة التعليمية:

الأزمة بمعناها العام هي تلك النقطة الحرجة واللحظة الحاسمة التي يتحدد عندها مصير تطور ما، إما إلى الأفضل وإما إلى الأسوأ. ويعرف (ميتروف, Mitroff) (الأزمة على أنها "حدث يمكن أن يدمر أو يؤثر على المنظمة ككل ، ويهدد وجودها، ويؤثر سلباً على سمعتها أو صورتها لدى الجمهور". كما تُعرف على أنها" حدث مفاجئ غير متوقع ، مما يؤدي إلى صعوبة التعامل معه، ومن ثم ضرورة البحث عن وسائل وطرق لإدارة هذا الموقف بشكل يقلل من آثاره ونتائج السلبية، فالأزمة تعبر عن ثلاثة عناصر أساسية هي: التهديد المفاجئ وضيق الوقت، ونقص المعلومات ما جعلها تمثل الفرصة للتغيير. حيث أنّ كل أزمة تحمل في طياتها مقومات نجاحها وكذلك أسباب فشلها، والاستعداد لمواجهةها قد يُشكل خطوة نحو التغيير

أما الأزمة التعليمية فهي "مشكلة أو حالة تواجه النظام التعليمي، وتستدعي اتخاذ قرار سريع لمواجهة التحدي الذي تمثله تلك المشكلة، غير أن الاستجابة الروتينية لمؤسسة الإدارة التعليمية تجاه هذه المشكلة أو التحدي تكون غير كافية، فتتحول المشكلة حينذاك إلى أزمة، تتطلب تجديدات في المنظمة الإدارية التعليمية والأساليب الإدارية التي تتبعها تلك المنظمة"⁴

ثانيا. المشروع التربوي وأزمة الفعل التحديتي

1- قراءة سوسيولوجية للأزمة التعليمية والحداثة التربوية:

كادت تتفق جل الخطابات الفاعلة في الحقل الاجتماعي، على أن أزمة النظام التربوي في الجزائر مردها إلى خلل وظيفي وتقني، كونها متعددة العوامل ومتسمة بتشابك علائقي وتاريخي يرتبط بالإرث الاستعماري. وهكذا فبالرغم من كون الجزائر قد حددت منذ الاستقلال مجموعة من المبادئ التي اعتبرت مذهبية التعليم، فإن التعامل مع هذه المبادئ قد ظل على العموم محكوما بالظرفية، لأن استنطاق الإرث التاريخي وبالتحديد الممارسات التربوية الاستعمارية نستنتج أن الجزائر لم تفلح في إحداث القطيعة مع تلك الممارسات

وبقاياها الاجتماعية والثقافية، ناهيك عن العجز "الحقيقي الأصلي" في القائمين على النظام التربوي في تأسيس مرجعية تربوية بديلة، تحمل معالم الإنسان الذي تسعى إلى بنائه عبر أنماط التربية والتعليم والتكوين المتواجدة. إلا أنّ هذا لم يمنعه من الاستجابة لبعض متطلبات الطلب الاجتماعي للتربية، وتمكين بعض الفئات الاجتماعية من التسلق المراتي والالتحاق ببعض المكائات الاجتماعية المغلقة. وإجمالاً، يمكن تلخيص بعض مظاهر الأزمة كالآتي:

أ- **عجز المعرفة المدرسية:** إن عجز النظام السياسي الجزائري عن إنتاج الدولة هو الذي أدى إلى طرح مسألة الهوية في الجزائر، خاصة وأنّ العودة نحو قضايا الهوية في المجتمع تمثل بديلاً وتعويضاً عن الدولة العاجزة، تظهت في سلوكات مرضية، كالمواقف المتخذة فيما يتعلق باللغة العربية تشير إلى أن ما تلقنه المدرسة الجزائرية من معارف وقيم ورموز وأنماط تفكير يتناقض في كثير الاحيان مع ما تروجه مختلف المؤسسات الاجتماعية، وتعبير أدق، أن شكل الثقافة الذي تعمل المدرسة على نشره كثيراً ما تعمل على إنتاج نماذج بشرية متناقضة مع أنماط التفكير المتداولة في المحيط الواقعي.⁵

ب- تدني مستوى التحصيل والأداء الوظيفي :

* **إشكالية تعليم اللغة العربية :** يبدو من النمط البافلوفي الممارس من خلال الطريقة الوطنية لتعليم اللغة العربية المفروض على الطفل كقاعدة ثابتة، يحرص في معادلة "مؤلمة" والأدهى من ذلك أنه يضعه في بوتقة تناقضات خطيرة ناتجة عن التعارض العنيف الحاصل بين عالم طفولته المألوف الذي يسهر عليه ظل أمه وبين عالم المدرسة المقيد والمحدود الذي تسيره المعلمة التي لا تملك هي نفسها إلا أن تنصاع بحكم تكوينها الهزيل إلى النمط البافلوفي المسلط على الجميع

* **إشكالية تعليم اللغات الأجنبية :** إن نقل منهجية تعليم اللغات للناطقين غيرها وخاصة منها المنهجية البنوية السمعية البصرية في المدارس الابتدائية تم بسهولة مذهلة. ويهدف من تطبيق مثل هذه المنهجية على الأطفال أصلاً إلى منعهم من التحكم في استعمال

اللغة المكتوبة أو اللغة الأصل، مما ينفى طبيعة وخصوصية الطفل الأصلية مثلما يحول دون إدراكه شمولية اللغة ويحد من مخيلته وبنمي فيه سلوك الاستهلاك والخضوع.⁶

ج- أزمة التعليم العالي والبحث العلمي: يمكن القول أن الإصلاحات المطبقة خضعت للطرفية، علاوة على أنها غير مدروسة ولا تتم عن تصور شامل وبالنظر إلى الوضع المتأزم للنظام التربوي في الجزائر، فإن وضعية التعليم العالي عموما بمختلف فروع ومستوياته أضحّت سمته الأساسية التدهور، ويمكن حصر بعض مظاهره كالآتي:

- إشكالية المضامين والأهداف: لقد باتت مضامين التعليم الجامعي وطرق تبليغها وكذا علاقاتها مع متطلبات المجتمع وأسواق التشغيل والاقتصاد وبشكل خاص، يبدو عليها عدم التطابق ناهيك عن دورها في تكوين الإنسان الجزائري، ونشر قيم الثقافة والإبداع الفني والبحث العلمي بأشكاله المختلفة، وفي هذا الإطار إن مختلف الجامعات الجزائرية لا تتوفر على هياكل منظمة وعقلانية للبحث العلمي، فضلا عن الأوضاع المتدهورة للأساتذة الباحثين من النواحي الإدارية والتربوية والعلمية

- عزلة الجامعة عن محيطها: إن وضعية اللا تطابق بين ما تنتجه الجامعة وما يحتاجه المحيط، تتمظهر بالأساس في بطالة الخريجين من حاملي الشهادات وهذا بالرغم من كون خطاب السلطة ينشد أطروحة افتتاح الجامعة على محيطها الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، لم توفق في تفعيل الجامعة وإخراجها من عزلتها عن محيطها الاقتصادي والثقافي والسياسي والاجتماعي. ومرد ذلك، أن بلورة تلك الأطروحة لم يتم في إطار تشاركي يضم مختلف الفاعلين في الحقل الاجتماعي، علاوة على غياب إستراتيجية منبثقة بطبيعة الحال من توجهات فكرية وتربوية واقتصادية منسجمة⁷

د- هيمنة الخطاب الفرنكفوني التغريبي: إن الخطاب التربوي المهيمن على مستوى السلطة، يميل إلى منظومات فكرية ومجتمعية غربية عموما والفرنكفونية خصوصا، كما أن شكل التعامل مع تلك المنظومات الفكرية مطبوع بطابع الانتقاء السطحي والتعامل معها بدون وعي بعوامل إنتاجها المعرفية والسوسيوثقافية وأيضا بدون معرفة علمية دقيقة بشروط نقلها وتوظيفها في السياق الجزائري، فتظل بذلك بعيدة وتدخل في حالة تناقض

مع الواقع الجزائري فتظهر في النهاية في حالة قصور عن المساهمة في تطوير النظام التربوي أو إصلاحه وجعله يستجيب لمتطلبات وحاجات المجتمع الجزائري المعاصر⁸

ه- الأمية واحترار قيم العلم والثقافة : إن تدهور القيمة الاجتماعية والثقافية للمدرسة عزز إلى حد كبير سلوكيات احتقار قيم العلم والتعليم والمعرفة والثقافة وإلى أشكال الإبداع والابتكار، وبالتالي ساهم في تفشي الأمية بكل دلالاتها وانعكاساتها ومنه عجز النظام التربوي أن يكون دافعا للتنمية ومواكبة منجزات الحضارة العصرية

و- السلطة، الهوية، العنف: كيف السبيل إلى إيجاد، غايات التربية؟ تلك هي المشكلة الفلسفية العظمى، التي لا يمكن لأي علم أن يحلها، ولكن كل إنسان يطرحها فور أن يعهد إليه فعل التربية. لا تفصل التربية عن السياسة، أو عن نمط الحياة في المدينة، أو شكل العلاقات التي تؤلفها، وشكل السلطة وشرعيتها ومصدر سلطتها أو قوتها.⁹

2- الإصلاح التربوي كطلب للتوجه نحو الحداثة التربوية

إن عملية الإصلاح التربوي لما تتميز به من خصوصية لارتباطها بضمان تكوين الأفراد ليكونوا قادرين على التكيف في مجتمعاتهم، والتفاعل مع مستجدات الحاضر والتطلع لآفاق المستقبل، تجعل من الإقدام على هذه العملية يتطلب جملة من المتطلبات والشروط الواجب توفرها والحرص على أن تكون ضمن القاعدة الأساسية لأي عملية إصلاح مرغوب فيه، فالإصلاح التربوي على قدر من الحساسية بحث لا مجال فيه للخطأ لأن العملية تعتبر قضية تمس المجتمع، بكل فئاته لذلك وجب أن تكون عملية الإصلاح مرتبطة بالواقع المحلي بكل تجلياته غير مفروضة من جهات خارجية، مع ضرورة دعمها برؤية تخطيطية محكمة تؤسس لإستراتيجية تعاونية، يتجسد فيها الجميع لإنجاح العملية وهذا ما أشار إليه مصطفى محسن محمدا ضرورة توفّر ميزتين هامتين لنجاح عملية الإصلاح التربوي هما:

- ألا يكون مندرجا في إطار سياسات تربوية أو اجتماعية أو اقتصادية مستوردة تابعة مشروطة، ومملاة من ثقافات خارجية، بل يجب أن تكون نابعة من اختيارات وأهداف وحاجات وطنية بالأساس.

- أن يتكامل مع أنماط ومستويات التخطيط الأخرى إضافة إلى إجرائيته و دقة أهدافه. أي يخرط في إطار رؤية تخطيطية وطنية عامة و متكاملة العناصر، ضمن إستراتيجية تشاركية وتحوارية جماعية محكمة التقنين والتنظيم وللأدوار والعلاقات.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الانفتاح الايجابي على تجارب الآخرين للاستفادة منها في وضع الخطط والاستراتيجيات البتاءة لتحقيق القدر الكافي من التطور والنجاح، فالتسارع الكبير في مجال المعلومات والمعارف يتطلب ضرورة تكيف السياسات التربوية، لتسمح بملاحقة المستجدات والتطورات المختلفة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. هذه الأخيرة، جعلت التربية في عصر العولمة تشهد تحديا كبيرا يحتاج إلى العمل باستمرار وبجد لمسايرة التطورات الحاصلة على مستوى التغير الاجتماعي، حتى تصبح التربية أداة للتغيير الاجتماع، وليس العكس منه بمعنى "أن التربية اليوم تلهث وراء التغير وتحاول جاهدة إعداد مجتمعاتنا لمسايرة هذا التطور وبذلك صار الوضع معكوسا، وأصبح دور التربية لاحق للتغير بدلا من أن يكون سابقا له"¹⁰

ولتحقيق ذلك لا بد من توافر عدة متطلبات أساسية نوجزها في:

أ- التنبؤ السياسي للعملية الإصلاحية للنظام التربوي، وفق سياسة تعليمية تستمد مرجعيتها من فلسفة المجتمع في مجال التربية، يتجسد ذلك في مشروع متكامل للإصلاح التربوي، يتجسد الجميع لتنفيذه من موقع مسؤولياته.

ب- شمولية الإصلاح التربوي ومرونته، التي يجب أن تكون صفة سائدة في مراحل الإصلاح التربوي، لضمان نجاح العملية وفق خطة تطوير وإصلاح تربوي شامل انطلاقا من المبادئ التالية :

- شمولية التطوير التربوي المنشود بحث يتناول جميع عناصر النظام التعليمي الرئيسية، ويجري عليها ما يتطلبه من تغيير كلي أو جزئي.

- مرونة إجراءات التطوير، بحث يتيح بدائل أمام الدول لاختيار ما يتناسب مع طبيعة نظمها التعليمية وظروفها وأولوياتها.

- واقعية التطوير بحث ينطلق من أرض الواقع، ويتدرج في خطوات التغيير والإصلاح بما يتلاءم ودرجة استيعاب أهداف التطوير، والتمكّن من تطبيقه قبل المدارس والتربويين العاملين فيها والمشرّفين عليها.

ج- السعي نحو التعليم النوعي بكل ما تحمله الكلمة من معاني الجودة والمواكبة للتغيير المتسارع في الكم المعرفي والتدريب والمهارات الحياتية.

د- إعداد مناهج تربوية مبنية على آخر ما جادت به النظريات التربوية، في مجال البحث التربوي للرفع من مستوى التعليم، دون أن تهمل واقع المجتمع وفلسفته التربوية حيث ينبغي "مراعاة واقع المجتمع وفلسفته وطبيعة المتعلّم، وخصائص نموّه وأن يتم ذلك في ضوء ما انتهت إليه دراسات المتخصصين في هذه المجالات"¹¹

هـ- التفاعل الايجابي مع الآخر والتفتح على ثقافة الآخرين، مع المحافظة على خصوصية الهوية المحلية، لتدريب الناشئة على التفاعل الايجابي مع الثقافات المختلفة وفرز وتحليل مناطق التواصل وتعزيز الثقة بالنفس، في فتح نافذة الحوار مع الآخر. كما يقول المهاتما غاندي "إتني أفتح نوافذي للشمس والرياح، ولكنتي أتحدى أية ريح أن تقتلني من جذوري". فكل عملية إصلاح لا بد أن تراعي الجوانب السوسيوثقافية للأمة، وما يرتبط بها حتى تضمن التغيير الناجح الذي يمكّن من إحداث الإقلاع الحضاري للأمة وهذا ما برز في تجارب العديد من الأمم في العصر الحالي.

ثالثا. تحديات المشروع التربوي الجزائري وسبل الحد منها

1- التحديات التي يواجهها المشروع التربوي الجزائري

أ- التدخلات الخارجية في نظم التربية والتعليم: فمنذ 11 سبتمبر "تزايدت الهجمة على وطننا العربي متهمة دينه وتقاليدِه ونظم تعليمه بأنها مصدر للإرهاب، وأنها بيئات تولد نوازع العنف والاعتداء على الغير وأصدرت التقارير والإشارات لتغيير مناهجنا العربية"، وتعتبر أن إصلاح التعليم بالمفهوم الأمريكي هو الدعامة الأولى لوأد الإرهاب لذلك حدد التقرير ما يلي:

- إنشاء مدارس أمريكية في مختلف البلاد العربية لجميع مراحل التعليم وأن تكون مؤهلة للالتحاق بالجامعات الأمريكية. مع الاعتماد على الخبراء والأكاديميين الأمريكيين في إدارتها مع تطعيمها بأكبر عدد من خبراء التعليم العرب.
- تنظيم دورات تدريبية وتأهيلية مشتركة للمعنيين بالعملية التعليمية في البلاد العربية أو في أمريكا تتضمن برامج تؤكد الصورة المثلى الأمريكية.
- ألا تكون تكاليف الالتحاق بهذه المدارس عالية لتشجيع الانخراط فيها.
- لا تقتصر المناهج على المقررات الدراسية وإنما سيتم تخصيص جزء كبير منها لتشجيع المشاركة السياسية والديمقراطية.
- إنشاء نوادٍ داخل المدارس يطلق عليها نوادي الحرية الأمريكية لممارسة تطبيقات الديمقراطية الأمريكية.
- دعم إنشاء المدارس من خلال سلسلة من المصالح والمشروعات والمؤسسات الاقتصادية الأمريكية وهذه المشروعات ستضمن فرص عمل لخريجي المدارس والجامعات الأمريكية برواتب مغرية.
- تخصص المذكرة فقرات حول تشجيع تعليم البنات وهناك خطط جاهزة لتدريب المرأة العربية لقيادة حركة تطوير المرأة.
- يتم البدء في هذا المشروع من عام 2003 وتبدأ الدراسة الفعلية 2005.
- دعم وتقوية اللامركزية السياسية وبرامج الحكم المحلي خاصة في مجالات التعليم.
- وجود برنامج منفصل للترجمة إلى العربية من خلال كتب تعالج الاقتصاد والتربية وتشكل مراجع توزع على المؤسسات.
- ترجمة كتب مبسطة حول أنماط الحياة الأمريكية، مع قصص رمزية ترسخ أهدافا وقيما معينة توزع على طلبة المدارس، وإدخالها في صلب المناهج التعليمية وتشرف على حركة الترجمة وزارة الخارجية الأمريكية¹²

ب- استهداف الهوية الثقافية: وذلك من خلال التحديات القديمة والمتجددة (التبشير والاستشراق والاستغراب) والتي تتجدد باستمرار في صورها وأثوابها ووسائلها، وما يتولد عنها من تحديات مثل:

• زحف المدارس التبشيرية: يلاحظ ازدياد قيام هذه المدارس والتوسع في إنشائها في ظل العولمة، مما يشكل تحديا خطيرا حيث يختطف فيه أبناء المسلمين ويجولون من المدرسة الإسلامية إلى المدرسة الكافرة في صمت وتشجيع رسمي، مما يؤدي إلى تذبذب الطلاب أو إخراجهم من دينهم.

• التسلسل المتواصل للمفاهيم المغلوطة: لم يخفت صوت الاستشراق يوما من الأيام في بث المفاهيم المغلوطة والتشكيك في العقيدة، بل تزايد في ظل هيمنة العولمة وأدوات الاتصال المتاحة، وما زال يشكل تحديا كبيرا للبلاد الإسلامية فهو من التحديات القديمة الجديدة، والاستشراق كما يبين هو المصنع الفكري للتصوير والاستعمار، ولقد تغيرت وتطورت وسائله تطورا مذهلا، ففي القارة الأمريكية وحدها عشرة آلاف مركز للبحث والدراسة تتابع وترصد كل ما يجري وتناقش مع صناعات القرار لبناء الخطط ووضع الاستراتيجيات وتحديد وسائل التنفيذ لإعادة تشكيل العقل المسلم وإنجاب تلامذة مسلمين لممارسة دوره، والتقدم نحو الجامعات ومراكز الدراسات والإعلام والتربية، لذلك فعلماء الاجتماع والنفس والتربية هم الصورة الأحدث للمستشرقين.

وقد بلغت مؤلفاتهم في النصف الأخير من القرن العشرين ستين ألف كتاب ألفت في العقيدة وتاريخ الأدب العربي والتصوف والأخلاق وعلوم القرآن وغير ذلك وهي مشحونة بالكذب والظعن في الإسلام ومنها الموسوعات والمعاجم كدائرة المعارف الإسلامية والمعجم العربي اللاتيني وتاريخ الأدب العربي والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وقد سهلت العولمة الرجوع إلى هذه المؤلفات والموسوعات عبر شبكات الإنترنت والبحث فيها، ورجوع الطلاب إلى مثل هذه الموسوعات والمراجع يؤدي إلى تسلسل المفاهيم المنحرفة والمغلوطة، إلى جانب الظعن في القرآن ورسالة النبي الكريم والتشكيك في مكانة المرأة في الإسلام وإحياء النعرات والقوميات، مما يشكل تحديا للمدرسة ومعلميها وتلامذتها.¹³

• **الانهار والاستلاب الثقافي:** يعتبر التعليم البوابة الأخطر والتربة المستهدفة التي تنبت فيها جذور المؤامرة على الأمة، يوضح ذلك ما يقوله المستشرق البريطاني (جيب) بأن التعليم أكبر العوامل التي تعمل للاستغراب والحق أنه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة التعليم ما تدل عليه ولا نستطيع الحكم على مدى الاستغراب في العالم الإسلامي إلا بمقدار دراسة الفكر الغربي والمبادئ والنظم الغربية، إن إدخال طرائق جديدة في الفكر في البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاما جديدا في التربية من عهد الطفولة والمدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال إلى الدراسات العليا. فقد أخذت المجتمعات الإسلامية بنظم التعليم الغربية؛ ففي مصر فرض اللورد كرومر المعتمد البريطاني وبمساعدة من القس (دنلوب) منهج التعليم والتربية الغربي على الدارسين ولقد بقي هذا المنهج سائدا حتى يومنا يعمل على إلغاء الشخصية والخصوصية.

ومن وسائل الاستغراب دس الأفكار والنظريات والفلسفات التربوية ذات التوجه اللاديني والأخلاقي المناهية للعقيدة في المناهج كنظريات داروين وفرويد ودوركايم عبر أساليب التربية والفلسفة والسلوك كالتمثيل والرقص والفنون المختلفة ومناهج التعليم وكلها قائم على إعلاء مفهوم الغرب واستنقاص القيم العربية الإسلامية.

ويتضح ذلك مما يبيث من قيم ومفاهيم وأفكار في كتب التربية المدنية عن الزواج المبكر والاختلاط وفصل الدين عن الدولة والمجتمع المدني وحقوق المرأة والحريات الأربع؛ العقيدة والتملك والرأي والحرية الشخصية، وما يترتب على ذلك من الزواج بكافر أو غيره وحق الرجل والمرأة متى أدركا سن البلوغ من التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب العرق أو الجنسية أو الدين. وإذا كان هناك من مخاطر وجدل حول ما يقرره العصر من أبحاث بالاستنساخ وغيره، فإن مجال تغريب التربية هو الاستنساخ الحقيقي لإخراج نسخ غريبة متطابقة في المضمون وإن اختلفت في الشكل.¹⁴

د- الابتزاز التربوي بالمنح والمعونات الخارجية: تمثل المنح والمعونات الخارجية المقدمة للجهات الحكومية أو الأهلية عامل ابتزاز وضغط وتوجيه لإنفاذ كثير من المخططات المشبوهة مما يجعل كثيرا من الجمعيات الأهلية المدعومة من الغرب أداة محاربة التربية

الإسلامية والعمل على طمس الهوية، فإذا تفاعل المدرسة في جو تكثر فيه المنظرات والجمعيات والمؤسسات الخدمية والأهلية ذات الأهداف اللادينية.

وهناك الكثير من المبادرات التي تعد بالمنح والمعونات في بناء المدارس ويتساءل أي نوع من المدارس هل هي مدارس تركز على مهارات العولمة والسوق متجاهلة قيم المواطنة وهل هي مدارس الصفوة القادرة على دفع مصروفات باهظة لتكون عملاء وساسة لتوجهات العولمة ومشروعاتها فيكفيها ما أخذ ينتشر من مدارس أجنبية تحت ستار تحسين التعليم العربي وتطويره.¹⁵

هـ- استدماج القيم العالمية في مناهج التعليم (التربية الشمولية): تحاول منظمتا اليونسكو واليونسيف استدماج القيم العالمية في مناهج التعليم وترسيخ الأفكار الداعية للنظام العالمي الجديد في اتجاهين، الأول يتمثل في الجهود لوضع برنامج للشرق الأوسط في مجال التربية الشمولية، والثاني في برنامج للتنمية التربوية لدول حوض البحر المتوسط، والمشروع الأول تحت اسم "Global education" وتتضمن التربية الشمولية أربعة أبعاد: **البعد المكاني:** ويركز على تعزيز الوعي بعلاقة الاعتماد المتبادل بين البشر في نظام عالمي يكون فيه المحلي ضمن الكوني، والكون ضمن المحلي.

البعد الزمني: إن عنصر مواجهة المستقبل في المناهج الدراسية يعتبر شرط مهم ومسبق لتنمية قدرات ومهارات التلاميذ ليصبحوا في وضع يمكنهم من التحكم في اتجاه التغيير وأكثر قدرة على التكيف مع مجتمع سريع التغيير.

بعد القضايا الكونية الشاملة: فالقضايا الكونية متداخلة كتلوث البيئة والاعتداء على حقوق الإنسان وعدم المساواة.

البعد الداخلي: ويقوم على أن يتعلم الأطفال أن حياتهم متداخلة مع مشكلات الناس وطموحاتهم ومع البيئات التي تبعد عنهم آلاف الأميال، وقد تم تنفيذ مشروعين تجريبيين في لبنان والأردن بالتعاون مع المعهد الدولي للتربية الشمولية ومنظمة اليونسيف في عمان، حول تطوير وتدريس موضوعات تدرس منفصلة أو ملحقة ببعض المواد الدراسية مثل

العيش المشترك وتفهم الاختلافات وتجنب الصراعات وحل النزاعات ونظرتنا لذواتنا والآخرين، ورفض العصبية والعرقية والآراء المسبقة، والمستقبل.

2- الدور الإعلامي المناقض للدور التربوي المدرسي:

الإعلام وسيلة للتعبير والتوجيه، وظيفته التثقيف والتعليم والإرشاد، وتوضح خطورة الإعلام ولا سيما في عصر الفضائيات بتحويله إلى أداة لهدم القيم والنيل من الرموز، فهو إعلام مرِبٌ وذو رسالة قيمة، وإذا كان غير ذلك فهو خطر على العملية التربوية ذاتها، فإما أن يدعمها ويتكامل معها أو يضادها ويعيقها، وتحاول العولمة مسخرة الإعلام لدفع الإنسان وتحتيته بعيدا عن التربية والأخلاق بإشاعة أدب الجنس والجريمة والتمرد لدى الأجيال وقتل أوقات الشباب وقد "أثبتت الدراسات الحديثة خطورة القنوات الفضائية بما تبثه من أفلام ومسلسلات جنسية فاضحة على النظام التعليمي والحياة الثقافية والعلاقات الاجتماعية ونمط الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي" إلى جانب المجالات والصحف الخليعة التي تمجد أهل الهوى والفن وتنقص من حملة المبادئ والقيم وأصحاب المثل والعلماء والدعاة أو الذين يشكلون القدوة التي يبحث عنها النشء، وتشوه الرموز الإسلامية لما يحملها "الإعلام يحمل غسيلا للأدمغة ويسعون من خلاله لمحو تراثنا من خلال توجيه المعلومات وتشويه التحليلات ونشر الفجور سعيا منهم لطمس ديننا وهويتنا، واليهود يركزون تركيزا خاصا على الإعلام والسينما ووسائل التثقيف، فهذا الإعلام العالمي الذي تمثله العولمة تحكمه أمريكا وإسرائيل في النهاية وهو لا يجلب خيرا لنا وإنما دمارا لشعبونا".¹⁶

3- مادية ثقافة العولمة وخطرها على البناء الروحي:

إن ثقافة العولمة ثقافة مادية بحتة لا مجال فيها للروحانيات والعواطف، مما يجعل تحدي المدرسة في هذا المجال هو الحفاظ على ديمومة المجال الروحي الصحي السليم للطلبة بث مفاهيم التكافل والتعاطف والتواد والإيثار وكل القيم النبيلة. "ولقد قامت المدرسة في صورتها الحديثة بربط التلميذ بعالمه المعاصر أكثر من ارتباطه بعالم الفضيلة والقيم، فركزت

على العلم والتكنولوجيا وانغمست بمناهج تعليمها في عصر المادة، ولم تعط أهمية تذكر لما يجب أن يكون عليه السلوك"

4- تهديد واكتساح الخصوصية الثقافية عبر الإنترنت:

تعد شبكة الإنترنت من أهم وسائل العولمة الثقافية التي تسعى إلى الاكتساح الثقافي وإلى إحلال التبعية لثقافة الغرب محل الأصالة النابعة من عقيدة الأمة، فما تنقله من أفكار يمثل حروب أدمغة لا أسلحة، بالإضافة إلى ما تمثله من تحدٍ معلوماتي. ويعتبر اختراع الإنترنت من أهم الاكتشافات البشرية منذ اكتشاف الآلة الطباعة، حيث يتمكن التلاميذ وبضغطة زر واحدة للوصول إلى مكتبة الكونجرس والاتصال بالمدارس والجامعات، ويلخص أخطار شبكة الإنترنت بالتبعية الثقافية والعنف والجريمة وانحسار اللغة العربية وإهمال مصادر المعلومات الأخرى وإدمان ازدياد المواقع الإباحية والاعتراب والعزلة والتشكيك العقائدي والتردي السلوكي إلى جانب الأخطار الصحية.¹⁷

5- التحديات الداخلية للمشروع التربوي:

في ظل هيمنة العولمة، تبرز إلى السطح كثير من التحديات الداخلية، وتصبح مواجهتها أكثر إلحاحا وعلى قائمة الأولويات، فالضعف الداخلي ينعكس حتما على قدرة النظام التربوي على المواجهة بفعل الإصابات الداخلية، كما أن جذور العولمة تتمدد في التربة الرخوة للتربية، بالإضافة إلى كون العولمة تكريسا للأزمات المتلاحقة، لذلك يشكل الاستقرار التربوي القائم على فلسفة واضحة الضمان الحقيقي والطريق الآمن للخروج من متاهات العولمة وهيمنتها.

ولقد تغير مفهوم التعليم تغيرا جذريا وشاملا في هذه الحقبة الزمنية التي تظلمها العولمة وتسيطر عليها آثار الثورة التكنولوجية والنفوذ الإلكتروني، فمع سيادة نظام العولمة أصبح هذا التعليم ضرورة بقاء وضرورة للأمن القومي وما يرتبط به من الجودة الشاملة

وان أمتنا العربية والإسلامية تواجه اليوم ولسنوات قادمة تحديات جساما وأخطرها التحديات التربوية يتبلور في ضوئها مصير الأمة قوة أو ضعفا، وتمثل في أحد جوانبها صراعا ومقاومة دفاعا عن الاستقلال ضد التبعية.

ويمثل واقع العولمة صدمة لإيقاظ الأمة ودفعها إلى التجديد والنهوض واضطلاعها بمسئولياتها في مواجهة مخاطر العولمة والدفاع عن هويتها من التماهي والضياع.

فالتعليم هو المدخل الفعلي لمواجهة التداعيات السلبية للعولمة وامتلاك رؤية واضحة لبناء إنسان جديد ومتجدد قادر على فهم العولمة ومواجهتها، فنحن أمة في خطر، ولا سبيل لمواجهة العولمة إلا بالتربية التي تعطي إجابات واضحة على معرفة من نحن، وما هويتنا، وماذا نريد وما هو الإنسان الذي نسعى إلى إيجاده وإعداده، فالنظام التربوي يعاني أساسا من أزمة تربوية تختلف حدتها من بلد إلى آخر، منها ما يتعلق بالتعليم وسوق العمل فنحن نتعلم وفقا لطاقة التعليم المتاحة لا وفقا لحاجاتنا الفعلية، وفي ظل فلسفة تربوية تضع حواجز بين المعارف النظرية والمهارات العملية، ومنها عدم تكافؤ فرص التعليم وأسبابها الدروس الخصوصية، وتعدد مسارات التعليم فهناك ازدواجية تربوية بين تعليم النخبة وتعليم العامة، والعزوف عن مداومة التعليم وسلبية المعلمين، فمنهم قادة الثورة التربوية وعدم فاعلية البحث العلمي وانفصاله عن المشاكل العملية وتدني مستوى الخريجين والمهادر التعليمي الضخم، وفقدان المجتمع ثقته بمؤسساته التعليمية، وعدم تعريب العلوم، وتختلف المناهج وطرق التدريس وضعف الإدارة التعليمية.

ويشير في موضع آخر إلى أن "التعليم في هذا العصر ليس مجرد تنشئة للفرد المسلح بالعلم والقادر على الإنتاج وإنما هو قضية أمن قومي فالمجتمع الذي تنفثى فيه الأمية ويسوده الجهل يسهل اختراقه والسيطرة عليه، أمية ما يدور حولنا في العالم بعد انفجار الثورة المعلوماتية والغزو الفكري والثقافي والعقائدي عن طريق شبكة المعلومات الدولية ووسائل الاتصال الحديثة فائقة السرعة والذي يحمل أفكارا ومبادئ لا تتناسب مع عقائدنا ومبادئنا". وتشير (يونس) إلى أن المدارس قد تحولت إلى ساحات للوَأد، فقد "أثبتت نظم التعليم في دولنا العربية قيامها البارِع بدور السفاح الأي عقل مفكر أو فكرة مبدعة وقيامها بدور

الشرطي الملاحق لأي محاولة تفكير منطقي أو علمي أو نقدي"، ويلاحظ أن النظام التعليمي والتربوي في العالم العربي ابتداءً بالحضارة وانتهاءً بالجامعة يرسخ ويأصرار القيم المناقضة لتفتح الملكات والمواهب مما يضعف المناعة أمام تحديات العولمة.¹⁸

*** افتقاد الفلسفة التربوية الإسلامية:** يؤكد التربويون أن التعليم منذ نشأته وحتى اليوم يفترق إلى وجود فلسفة تربوية إسلامية توجهه، فقد ربط نفسه بفلسفات تربوية وافدة تأخذ من الغرب تارة ومن الشرق تارة أخرى، فانعكس ذلك على التعليم من حيث المناهج والأهداف وطرق التدريس والأنشطة التربوية، فجاء قاصرا غير واضح الأهداف والغايات، وبدلا من أن ينطلق من فلسفة تستمد توجهاتها من القرآن والسنة توضح تصورهما عن الكون والإنسان والحياة، إذ بفلسفة هذا التعليم تنقع في الغالب بمجرد التقليد والتبعية الثقافية والتربوية، لذا فقد "فشلت معظم تلك المؤسسات التعليمية في إيجاد الأجيال المعاصرة التي يمكن أن تواجه التحدي العالمي الذي فرض عليها، أو تحقق المطالب التاريخية الكبرى لأمتها العربية والإسلامية"

*** غياب المعلم القدوة:** ومن التحديات الداخلية الحاجة إلى المعلم الجيد الفاعل القدوة الذي يحمل مهمة التغييرات الجذرية "وإذا كانت الإنجازات العلمية الآن تتم من خلال انتقال كفي وقفزات جذرية فإن المعلم التربوي مطالب أكثر من غيره بتحقيق تلك الفجائية الكيفية في ظل التحولات المتسارعة في شتى المجالات" فالمعلم القدوة غدا حاجة ومطلبا ضروريا كما يشير تقرير (اليونسكو، 1996، ص 127) الذي يؤكد بأنه قد ترتب على "التزايد المطرد لعدد المتحقين بالمدارس في العالم حشد مكثف للمعلمين جرى في كثير من الأحيان بموارد مالية محدودة ودون أن يتسنى دائما العثور على المعلمين الأكفاء وأفضى الافتقار إلى الموارد المالية وإلى الوسائل التعليمية فضلا عن اكتظاظ الصفوف إلى الترددي الخطير لظروف عمل المعلمين". وتتخلص أسباب غياب المعلم الفاعل في:¹⁹

(1) أن إعداده لا تتم فيه عملية التوأمة والتكامل بين الإعداد للمادة الأكاديمية والتأهيل

التربوي.

(2) يتم التدريب أثناء الخدمة على شكل محاضرات بدلا من ورش عمل.

3) عزوف الشباب عن هذه المهنة فالملتحقون بدور إعداد المعلمين من ذوي المؤهلات المنخفضة.

4) أصبحت مهنة التعليم مهنة من لا مهنة له، لذا يجب أن يكون الإذن أو الترخيص بالتعليم مشروطا بحصول المعلم على عدد من الوحدات الدراسية ويعطى الترخيص كل مدة زمنية محددة.

وبالنسبة لكفاية برامج التعليم ظلت الكفاية الداخلية والكفاية الخارجية دون المستوى المطلوب عالميا ومحليا لمدة طويلة ملحوظة بنواتج هذا التخلف وانعكاساته على الظواهر الاجتماعية والخدمات.

"ولا تقتصر أهمية المعلم على دوره المباشر في تنمية الإبداع وإنما يتعداه إلى ما يتبنى المعلم من اتجاهات إيجابية نحو الابتكارية وهذا الأمر يتطلب إعادة النظر في تكوين المعلمين قبل الخدمة وتدريبهم أثناء الخدمة بأن يمتلك المعلم صفات المعلم المبدع، وهي: مرونة شخصيته، والثقة غير المشروطة في قدرات الطالب والإقلال من التقييم والنقد الخارجي، وإشعار الطالب بالأمان وعدم الخوف واستخدام التشجيع والإثابة، وإدراك الفروق الفردية بين المتعلمين وإثراء الموقف التعليمي بالأنشطة الإبداعية، وإظهار قيمة أفكار الطلاب، والإلمام بسات الطلاب المبدعين، أو تشجيع الطلاب للتعبير عن أفكارهم الشخصية ومشاعرهم الذاتية وامتلاك القدرة على التسامح والبهجة والحرية. وقد تم التأكيد في المؤتمر الدولي الثاني المنعقد في دبي (2002) أن مواجهة تحديات العولمة تستدعي إصلاحات كثيرة للنظام التعليمي، وأنه ينبغي على المعلمين أن يتعاملوا مع البرامج الحاسوبية التعليمية والتعلم بالوسائط المتعددة والتعلم التفاعلي والتدريس الافتراضي والتعليم بالاتصال المباشر من أجل تحفيز عملية التعلم، تلك العملية التي تؤدي إلى الوصول إلى الأعمدة الأربعة للتربية وهي تعلم لتكون وتعلم لتعرف وتعلم لتعمل وتعلم لتعيش. كما أكد المؤتمر نفسه أن التكنولوجيا وضعتنا أمام خطرين:

الأول: أن تنكفي مدارسنا لحماية هويتها مما يغزوها وبالتالي نصبح خارج التاريخ

ونتجمد.

والثاني: أن تفقد مدارسنا المناعة كحصن ثقافي والنتيجة أن ندوب في كم المعلوماتية الهائل لذلك لا بد من التعامل مع التكنولوجيا الحديثة ونعد معلمينا للتعامل معها ونعمل على تنمية مهاراتهم تنمية مستمرة مستدامة²⁰.

* **جمود النظام التعليمي:** لم تعد نظم التقويم الحالية المتمثلة في الامتحانات مؤاتمة لعصر العولمة والمعلوماتية فهي معيقة لاستمرار الفرد في التعلم، إضافة إلى أن قاعدة عمليات التعليم تقوم على أساس معايير جامدة تقليدية تؤدي إلى الغربة والتصفية بناء على نتائج الامتحانات، وما يترتب عليها من إبعاد الفرد عن فرص التعليم بمجرد قصوره عن بلوغ ما تتطلبه تلك المعايير المعرفية، فليس المقصود من الامتحانات أن تكون مجرد أداة لإبراء الذمة، وإنما وسيلة لتوفير فرص ومستويات لكي يتابع الطالب مسيرة التعليم.

* **نقص الميزانيات:** ومن التحديات التي يتطلبها التعليم نقص التمويل المتاح، حيث إن الميزانيات المخصصة للتعليم لا تفي بالاحتياجات، فلا يزال ما ينفق على المتعلم سنويا 130 دولارا تقريبا في رحلة التعليم الأساسي بالمقارنة بما ينفق في اليابان 6960 وفي أمريكا 4764، وفي السعودية 1338 وفي تونس 290 دولارا سنويا.

* **نظام الترفيع دون إنجاز أكاديمي:** إن نسب النجاح المرتفعة ليست هي الغرض النهائي من التعليم ولكنها مؤشر من عديد من المؤشرات، فليس الهدف كليا فأسلوب الترفيع الآلي الذي يتبع في مدارسنا العربية والذي بموجبه ينتقل الطالب من فصل لآخر، تكون محصلته النهائية طالبا لا يستطيع أن يقرأ قراءة جيدة ولا يكتب كتابة صحيحة.

* **تدني نوعية التعليم:** ومن التحديات التي تواجه المدرسة كما تبين (المفتي) "الطلب المتزايد على التعليم المدرسي دون إدراج نوعية التعليم المقدم في عداد الأولويات ومن هنا كان اكتظاظ المدارس واتباع أساليب بالية للتدريس تقوم على الاستظهار والاعتماد على معلمين عاجزين عن التكيف مع أساليب التعليم الحديثة مثل المشاركة الديمقراطية في أنشطة الصف والتعلم التعاوني وحل المشكلات التي تتطلب قوة إبداعية وهذه المشكلات جميعها أصبحت تشكل الآن عقبات كبرى أمام توفير تعليم أفضل"²¹.

إلى جانب التحدي المزدوج وهو الارتقاء بمستويات التعليم وتحقيق التكافؤ في توفيره، وهو يثير تساؤلات على نهج التعليم وأساليبه ومضامينه والشروط اللازمة لضمان فعاليته وليست الأزمة في معرفة كيف تتم صناعة المناهج كحل لتدني نوعية التعليم، "ولكن الأزمة في كيفية توفير مناخ التنفيذ، وهذا المناخ يتمثل في المدرسة التي لا تستطيع أن توفر جميع الإمكانيات لتحقيق جودة منهج عالمي من خلال المعامل والفصول الأقل عددا والوسائط المتعددة وكذلك المعلم نفسه".

* **الانقطاع عن الدراسة:** ومن جملة التحديات الانقطاع عن الدراسة، إذ أن من أهم العوامل المساعدة على التعلم بعد توافر الكتب هو "الوقت الذي يقضيه المرء في وسط يجري فيه التعلم وكل انقطاع وكل عارض يؤدي إلى تقليص الوقت المتاح للتعلم من شأنه النيل من نوعية النتائج وينبغي أن يحرص المسؤولون عن السياسات التربوية على أن تكون السنة الدراسية المقررة رسميا هي حقا في معظم الحالات السنة الدراسية الفعلية"²²

* **العجز التربوي:** إن عجز النظام التربوي عن إخراج المبدعين له أكثر من دلالة خطيرة، ولعل أبرزها اهتزاز الثقة بهذا النظام، فأمرىكا التي تفرد بقيادة العالم عندما سبقها الاتحاد السوفيتي إلى غزو الفضاء، اعتبرت أن السبب هو عجز في النظام التربوي التعليمي، فشككت اللجان لإنقاذ ما أسمته (أمة في خطر)، بل إن جورج بوش قال في حملته الانتخابية أنه سيكون رئيس التربية والتعليم، ويلاحظ أن نظامنا التربوي قد غابت عنه عقلية التخطيط وعقلية التخصص وعقلية النقد والمراجعة ووجود الفراغ والقابلية للغزو الثقافي والاستلاب الحضاري والاعتراب التاريخي، وهذا معناه أن العطب قد لحق بأجهزة العملية التربوية والتعليمية.

6- المقاربات البيداغوجية والمنهجية للنهوض بالمشروع التربوي الجزائري

من أجل فهم إصلاح النسق التربوي، سيتم إدراج أهم المبادئ التي اعتمد عليها، مركزين على المقاربة بالكفاءات باعتبارها محور الاهتمام في هذا المجال

* **إدخال تكنولوجيا التعليم :** تعني تكنولوجيا التعليم في معناها الأكثر شيوعا الوسائل الناجمة عن ثورة الاتصالات، تستخدم لأهداف تعليمية بمصاحبة المعلم والكتاب والسيبورة... والأجزاء التي تكون تكنولوجيا التعليم هي التلفاز والأفلام وأجهزة العرض والحاسوب وعناصر أخرى من الأجهزة والبرامج. وبهذا فهي "طريقة منظمة في تصميم العملية الكاملة للتعليم والتعلم و تنفيذها وتقويمها في ضوء أهداف محددة.. وتوظف مزيجا من المصادر البشرية وغير البشرية لتحقيق تعليم أكثر فاعلية"²³

* **افتتاح المدرسة على محيطها:** تهدف المقاربة التربوية الجديدة لإعطاء التلميذ الكفاءات التي تمكنه في الأخير من تحديد طريقه واختيار مشروعه الخاص في مجال التربية، كما تجعله ناضجا وأكثر استقلالية عن محيطه، من حيث أن عليه الانتقال من المؤسسة التي تراقبه إلى مؤسسة أكثر انفتاحا تقترح معايير جديدة تسيّر العلاقات بين الشركاء.

* **تغير دور المعلم و التلميذ:** من هذه الوجهة يقوم المعلم بدور الباحث في المناهج التي تسمح بتحسين الكفاءات، المعارف، المنهجيات، التصرفات ومواقع هؤلاء التلاميذ في المجتمع، بالطريقة التي يتمّ سكون فيها بقيم وأصالة مجتمعاتهم، من خلال امتلاكهم لمكونات تمكنهم من المساهمة في تنمية مجتمعاتهم. فالمعلم إذن هو موجه، مقيم، ومسهّل لسيرورة التلقين. ويتطلب منه هذا اكتساب كفاءات ومهارات جديدة إضافة إلى الاتجاهات التقليدية في البحث عن المعارف العلمية، التربوية والثقافية. وتضم هذه الاتجاهات أيضا قدرة التخاطب واستشارة الآخرين، وعدم فرض رأيه والقدرة على تقييم ونقد ذاته. للتلميذ أيضا أدوار جديدة في المدرسة، حيث لم يعد العنصر الذي يتلقى المعارف بسلبية، فقد أعطت له المقاربة الجديدة حق المساهمة مع المعلم في تحضير معارفه في إطار العلاقة الأفقية المتفاعلة. فالتلميذ يبحث، يحلل ويستعمل المعلومة، وعلى المدرسة أن تعطي له الأدوار المنهجية المناسبة له²³

* **تحضير البرامج الجديدة:** تنص الوثيقة المرجعية للإصلاح على أن المبادئ المنظمة للبرامج هي :

- ذات نظام استراتيجي: من خلال الإجراءات المستقبلية، الاقتراب النسقي، النمو و التواصل، الاقتراب العلمي.

- ذات النظام المنهجي: على سبيل المثال مبادئ الانسجام، الإمكانية، المقروئية، الواجهة... حيث جُمعت البرامج على أساس هذه المبادئ مع التعريف والتحديد الدقيق لكل من:

- أهداف النسق
- النتائج المنتظرة من نهاية مختلف المستويات التعليمية
- تنظيم ميادين التكوين والتخصصات
- التنظيم الزمني للبرامج المدرسية الداخلية والخارجية
- تنظيم الإجراءات التربوية وبناء النسق

حيث تعتبر المراجع الخاصة لكل مادة قاعدة لما سبق ذكره، وتحدد ما يلي:

- الأهداف العامة المرتبطة بمجالات المعرفة بالأهداف الخاصة بكل مادة، إضافة إلى المهارات الواجب اكتسابها والتمكن منها

- التناسق بين هذه الأهداف وأهداف النسق مع الأخذ بعين الاعتبار كل من:

- نمو الطفل

- البيداغوجيا المعتمدة في هذه المواد
- اختيار المعلومات والكفاءات المرجوة
- اختيار المواضيع ومواقف التلقين
- تحضيرات ووسائل التقييم
- الوسائل والتجهيزات المطلوبة

* تطبيق المقاربة بالكفاءات: تسجل بداية الإصلاح التربوي في فترة تداعى فيها الكلام حول المقاربة بالكفاءات في المشوار الدراسي، للدراسات التي كانت متعددة، قليلة

الاستقرار ومحدودة التقييم هناك مجموعة من الحلول الممكنة لتطوير التربية والتعليم، وجعلها أكثر تطوراً لمواجهة تحديات العصر بشتى أنواعها، وتكمن فيما يلي:

- ضرورة وضع مخطط تربوي شامل، يتماشى ومتطلبات العصر ويحتوي على إستراتيجيات معاصرة من شأنها خلق تنمية بشرية

- يجب الانتقال من الكم إلى الكيف، ومحاولة المقارنة بينها

- الانتقال من المحلية إلى العالمية، بمعنى تجهيز فرد جزائري بمميزات عقلية عالمية

- التركيز على فكرة رأس المال البشري والثقافي، فالإنسان المثقف يعتبر ثروة

اجتماعية من شأنها تطوير المجتمع

- التخلص من الطرق التقليدية التعليمية ومحاولة وضع طرق جديدة تتماشى وروح

العصر

- يجب التركيز على الجانب الذاتي في التخطيط المعاصر

- حاجة المخطط التربوي لأن يكون على وعي تام بفلسفة لنظام واضح المعالم، لكي

يعيش المناخ الذي يحياه كل من (المعلم والتلميذ ومدير المدرسة وولي الأمر) من جهة،

و(مديري التربية والمسؤولين بالوزارة) من جهة أخرى، بحثاً عن بيئة تربوية جديدة يحيا فيها

مهندس الإنتاج (معلم) بمصانعا التربوية نحو الابتكار والتجديد، لخلق رأس مال بشري

جزائري قادر على مواجهة تحديات العصر²⁴

رابعاً. ملامح المشروع التربوي المبدع :

لبناء مشروع تربوي ناجح فعال لا بدّ من تفعيل دور المدرسة لما تضطلع به من أدوار

من شأنها الارتقاء بمستويات عمليات التربية، وهو ما جعلها محل اهتمام الكثير من المختصين

والمهتمين بمجال التربية محاولين اقتراح مشروع المدرسة المبدعة والذي يركّز على عدّة جوانب

أهمها :

1- الإدارة المدرسي المبدعة

وترتكز على جانبين :²⁵

أ- الجانب الإداري : لتحقيق ما يُعرف بالإدارة المدرسية المبدعة لا بدّ من:

- إعداد وتأهيل المدراء ومسؤولي ومشرفي المداري لتطبيق الإدارة الإبداعية للعملية التعليمية
- تطوير قدرات القيادات المدرسية من خلال برامج تدريبية وإشراف ومتابعة وزيارات ميدانية
- وضع خطط إستراتيجية للمدرسة تشمل الرؤية والرسالة والقيم والأهداف
- وضع خطط تنفيذية تشغيلية تحقق رؤية المدرسة والهدف من المشروع
- توفير بيئة مناسبة لتطبيق أساليب التعلّم النشط
- تطبيق الجودة والتميز التربوي ونشر ثقافة الجودة وأدواتها داخل المدرسة
- توفير بيئة آمنة من خلال تحقيق معايير الأمن والسلامة المهنية في المدرسة
- الربط بين العملية التعليمية والمجتمع المحلي والبيئة المحيطة
- التواصل الفعال والتعاون مع أولياء الأمور

ب- الجانب التكنولوجي :

- إدخال التكنولوجيا في إطار الشؤون الإدارية والتنظيمية والمالية داخل المدرسة
- يشمل قاعدة بيانات للطلاب والمدرسين وكافة الطاقم التربوي بالمدرسة وأولياء الأمور
- موقع إلكتروني شامل للمدرسة يعرض كل ما يخص المدرسة من أنشطة وفعاليات ... الخ
- التسجيل عبر صفحات عبر مواقع التواصل الاجتماعي كهمزة وصل بين التلاميذ والمعلمين والأولياء

- إدراج رابطة أو بوابة رئيسية للتعلّم الإلكتروني عن بعد يتيح لكل معلّم موقعا خاصا به يمكنه من إضافة مواد تعليمية على شكل فيديوهات، صور، مقالات واختبارات للتفاعل مع الطلاب

2- المحور الثاني/المعلّم المبدع:

دعامة العملية التعليمية كونه صانع القيمة، ويشتمل على جانبين هما:²⁶

أ- الجانب التربوي :

- تحديد وتحليل المشكلات التي تواجه المعلّم والعمل على حلها
- رفع قدرات المعلم التربوية من خلال برامج تدريبية خاصة على أساليب التعلم النشط التفاعلي
- تدريب المعلمين على مهارات وأدوات التفكير والإبداع في نقل الخبرات والمعلومات للطلاب بطريقة عصرية

- تدريب المعلمين على تطبيق ونشر ثقافة الجودة والتميّز بين الطلاب
- وضع مؤشرات أداء وأهداف لتقييم المعلمين بصفة دورية لتقويمهم فيما بعد
- تحويل وظيفة المعلم من ملقّن ومحفظ إلى مسير ومرشد و موجه

ب- الجانب التكنولوجي : ويرتكز على:

- تدريب المعلمين على استخدام التكنولوجيا في العملية التعليمية
- تحويل المناهج الدراسية إلى مناهج إلكترونية تفاعلية
- تدريب المعلمين على التواصل الإلكتروني مع الإدارة المدرسية والتلاميذ والأولياء

- إدراج موقع خاص بكل معلّم على بوابة المدرسة الإلكترونية المبدعة للفاعل مع الطلاب من خلال تقنيات التعلم عن بعد في إطار ضوابط لا بد من الالتزام بها.

3- المحور الثالث/الطالب المبدع :

المنتج النهائي أي القيمة التي نريدها من العملية التعليمية، تتركز على²⁷:

أ- الجانب التربوي :

- توعية الطلاب بمستويات الإدراك المعرفي وأهداف العملية التعليمية
- الاهتمام بالطلاب من كافة الجوانب التربوية والتعليمية والصحية والنفسية
- نشر ثقافة الإبداع والابتكار بين الطلاب وعمل معارض لمنتجاتهم وابتكاراتهم
- الدمج بين المعرفة والمهارات بما معناه التطبيق العلمي للمعرفة
- العمل على إدخال عنصر التشويق على العملية التعليمية لجذب الطالب من خلال أسلوب التعلم النشط

ب- الجانب التكنولوجي :

- استغلال حب التكنولوجيا لدى الطلاب بتشجيعهم على استخدامها في التعليم
- حث الطلاب على الإبداع باستخدام أدوات تقنية المعلومات والاتصالات
- عمل مسابقات علمية وثقافية وتكنولوجية بين الطلاب
- التفاعل مع أنشطة المدرسة من خلال موقع المدرسة الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي
- التفاعل مع المعلم من خلال أنظمة التعلم عن بعد عن طريق البوابة الالكترونية للمدرسة
- عمل منتديات وصفحات تواصل اجتماعي بين الطلاب أنفسهم في إطار متابعة وإشراف المدرسة والأولياء

4- المحور الرابع/ ولي الأمر :

باعتباره الشريك الإستراتيجي في العملية التعليمية :²⁸

أ- الجانب التربوي و الأسري :

- توعية الأولياء بالمتغيرات والمتطلبات التي تؤثر في العملية التعليمية
- إنشاء قنوات اتصال متنوعة ودائم مع المدرسة لمتابعة أبنائهم علميا وأخلاقيا
- عمل دورات تدريبية يحضرها أولياء الأمور عن كيفية توفير بيئة مناسبة للطلاب داخل المحيط الاسري
- دمج أولياء الأمور في العملية التعليمية باعتبارهم شريكا استراتيجيا وأخذ مقترحاتهم في الاعتبار
- تطوير فكرة مجلس الآباء بما يحقق الأهداف المرجوة منه

ب- الجانب التكنولوجي :

- توعية أولياء الأمور بأهمية التكنولوجيا في حياة أبنائهم وأنها أصبحت ضرورة وليست رفاهية
- تدريبهم وإرشادهم إلى كيفية التواصل مع المدرسة عبر الموقع الإلكتروني وبرامج التواصل المدرسي
- كيفية متابعة مدى تقدم التحصيل الدراسي لأولادهم من خلال التواصل مع المعلمين
- إدماج برامج تدريبية عن كيفية الإشراف والمتابعة لاستخدام أبنائهم للتكنولوجيا والتأكد من صحة استخدامها

5- المحور الخامس / المجتمع:

الراعي لبقية الأطراف فهو المستفيد النهائي من العملية التعليمية، لذا يجب عليه²⁹ :

- توفير الإمكانيات والموارد لتطبيق المشروع
- دعم وتشجيع التعلّم الإبداعي كونه الوسيلة الوحيدة لتقدّم الشعوب والأمم خاصة في ظل اقتصاد المعرفة
- المساهمة في الحفاظ على البيئية من خلال مبادرات الطلاب تحت إشراف المدرسة
- نشر أدوات الإبداع وحلول المشكلات من المدرسة إلى المجتمع للمساهمة في تحقيق رفاهيته
- ترسيخ ثقافة الانتماء والولاء والحفاظ على الهوية من خلال مبادرات مستقلة داخل مشروع المدارس المبدعة
- تقديم ندوات ومحاضرات في مجال توجيه الشباب أخلاقيا و فكريا

قائمة المراجع والهوامش:

- ¹⁻ برقوق عبد الرحمان، بدوي أم الخير: " المشروع التربوي الجزائري: بين المأمول والتحديات العالمية"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015، ص 15
- ²⁻ علي أسعد وطفة: "التربية والحدائث في الوطن العربي"، ط، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، 2013، ص 50
- ³⁻ رمزي أحمد عبد الحلي: "التربية ومجتمع الحدائث وما بعد الحدائث"، ط1، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص 24
- ⁴⁻ المركز الاستكشافي للعلوم والتكنولوجيا: " إدارة الأزمة التربوية"، موقع طلحا التعليمية، <http://kenanaonline.com/hany1963/>
- ⁵⁻ علي سموك: " المشروع التربوي الجزائري: بين معوقات الازمة وواقع العولمة"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع، فيفري 2005، ص 123
- ⁶⁻ المرجع نفسه، ص 125
- ⁷⁻ مركز دراسات الوحدة العربية: " العولمة وتداعياتها على الوطن العربي"، سلسلة كتب المستقبل 24، بيروت، 2003
- ⁸⁻ محمد سلامة: " الخدمة الاجتماعية في المؤسسات التعليمية"، المكتب الجامعي الحديث، 2006، ص 39.
- ⁹⁻ عواطف توفيق أحمد مرعي: " المناهج التربوية الحديثة"، دار الميسرة، الأردن، 2000، ص 26
- ¹⁰⁻ نفس المرجع، ص 27
- ¹¹⁻ برقوق عبد الرحمان، بدوي أم الخير، مرجع سبق ذكره، ص 20
- ¹²⁻ براهيم هياق: " اتجاهات أساتذة التعليم المتوسط نحو الاصلاح التربوي في الجزائر"، مذكرة ماجستير في علم اجراع التربية، جامعة منتوري قسنطينة، 2011/2010، ص 68
- ¹³⁻ عباس مدني: "مشكلات تربوية في البلاد الاسلامية"، دار الشهاب، باتنة، 1986، ص 10
- ¹⁴⁻ علي سموك، مرجع سابق، ص 130
- ¹⁵⁻ مصطفى منصور: "تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها"، ورقة بحثية مقدمة في مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة"، الجامعة الإسلامية، 3/2/ أبريل 2007، ص 609
- ¹⁶⁻ المرجع السابق، ص 609
- ¹⁷⁻ المرجع نفسه، ص 612
- ¹⁸⁻ نور الدين زمام: "الخطاب التربوي وتحديات العولمة"، دفا تر مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص 91
- ¹⁹⁻ مصطفى منصور، مرجع سابق، ص 700
- ²⁰⁻ إبراهيم هياق، مرجع سابق، ص 80
- ²¹⁻ أمينة مساك: "الإصلاح التربوي والتجديد البيداغوجي في الجزائر"، ورقة بحثية مقدمة في ملتقى بسكرة حول " ...ص، 09
- ²²⁻ المرجع السابق، ص 10
- ²³⁻ المرجع نفسه، ص 13
- ²⁴⁻ فانت محمد عزاري: تطوير التعليم الثانوي بين الواقع وتحديات المستقبل"، ط1، المجموعة العربية للتدريب والنشر، مصر، ص 131
- ²⁵⁻ علي أحمد مدكور: "منهج التربية في التصور الإسلامي"، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص 226
- ²⁶⁻ حسن كامل: " نموذج مشروع تربوي: المدرسة المبدعة"، تعليم جديد، صفحة إلكترونية <http://www.new-educ.com>
- ²⁷⁻ نفس المرجع.

